المصـــــدر : الجزيرة

التـــاريخ : 14-12-2007 العـــدد : 12860

الصفحـات : 37 المسلسل : 188

الباحث بمركز الدراسات القرآنية .. د. محمد المليباري لـ« الجزيرة »:

العقلانيون والعصرانيون يريدون دس سمومهم الفكرية لإنكار بعض المناسك في الحج

المدينة المنورة - خاص لـ(الجزيرة)

أكد باحث أن الحج شعيرة مميزة تحمل في طياتها معاني عظيمة، وآثاراً وأسراراً وفوائد جمة تتمثل في آثار عقائدية في سلوك الحجاج، وتغيير المعتقدات الخاطئة، إلى جانب آثار أخرى خلقية على سلوك الفرد والمجتمع.

واستعرض الباحث بمركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة د. محمد بن أشرف المليباري في حديث له جانباً من هذه الآثار قائلاً: إن الحاج يستشعر منذ دخوله في أعمال الحج إلى خروجه منها بوحدانية الله وعظمته لأنه لم يؤمر في الحج أن يذكر غير الله أحداً فيهدأ رحلته بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك) وينهيها بالتوحيد: (أيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) لذا ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما لبى من ذي الحليفة لحجة الوداع يقول جابر رضي الله عنه: فبدأ صلى الله عليه وسلم حجه بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما جعل الطواف والسعي والصفا والمروة ورمي الجمرات لإقامة ذكر الله).

وواصل فضيلته القول: أما تأثير عبادة الحج في تغيير المعتقدات الخاطئة فتتأكد في الحب الحقيقي والعبودية الخالصة النابعة من قلوب صادقة لله الواحد القهار عند أداء تلك العبادة حيث يرفض الحاج بتاتاً تلك الأفكار الواهية الناجمة من جهل مطبق والتي يرددها العقلانيون والعصرانيون ممن يرفضون ما لا يوافق عقولهم ويحاولون دس سمومهم بإنكار واستنكار بعض مناسك الحج.

وقال: إن الحاج الواعي الفاهم لشعائر دينه يعلم أن العبادات كلها توقيفية لا مجال للعقل فيها بل المؤمن الصادق في إيمانه يخضع عقله وتفكيره لأوامر الله، وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو عليه الصلاة والسلام: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) وأفعاله وأقواله يجب أن يقتدى بها بنص القرآن: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) لأنه ناطق ومبلغ عن الله سبحانه وتعالى إلى الذي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فلا يبحث الحاج المؤمن الواعي وراء حكمة وأسرار رمي الجمرات أو الاضطباع، أو تقبيل الحجر الأسود، بل ينفذ أوامر من لا ينطق عن الهوى بحذافيرها، كما قال عمر رضي الله عنه للحجر الأسود كما جاء في الصحيح (يا حجر إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك أبداً).

وعن الأثر الخلقي للحج على سلوك الفرد والمجتمع قال فضيلة الدكتور محمد المليباري: يلتقت الأسلوب القرآني إلى الناحية الأخلاقية في سلوك الحجاج أفراداً وجماعات التفاتاً رائعاً حيث يقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

فكل خير وكل عبادة وكل قربة يقدمها الحاج فالله به عليم وهو يجازيه عليه، ويرفع به درجاته، وهو طريق لتحلية النفس وتزكيتها وتطهيرها بعد تخليتها من الرفث والفسوق والجدال، وبهذه الهيئة النظيفة بالماء الطاهر والنفس الزكية والأعمال الخالصة يمحو الله من النفوس آثار الذنوب وظلمتها ويشعر به الحاج أثراً بالغاً يغير به سير الحياة في المستقبل.

وأسترسل الدكتور محمد المليباري قائلاً: لذا أوجب الله تعالى على الحاج أن يجتنب الأخلاق السيئة وخص منها:

1 – الرفث: الجماع ومقدماته من قول أو فعل، والرفث وإن كان مباحاً في الأصل إلا أنه بالنسبة للحاج وهو متلبس بالإحرام يعد خلقاً سيئاً ينبغي تجنبه كما أمر الله الصائم والمعتكف تجنبه.

2 – الفسوق: جميع أنواع المعاصي والفجور والمخالفات والمحظورات وهو مذموم دائماً لكن قبحه يزداد اثناء تلبسه بالإحرام لعظم المكانة والشعيرة، قال صلى الله عليه وسلم: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه).

وتحدث فضيلته عن عدد من

المصـــــدر : الجزيرة

التـــاريخ : 14-12-2007 العـــدد : 12860

الصفحـات : 37 المسلسل : 188

د. محمد بن أشرف المليباري

شعيرة الحج لها آثارها الكبيرة في تغيير المعتقدات الخاطئة لدى الحجيج

الآثار السلوكيـة الظـاهرة في الحج: وقـال: منهـا عدم الجـدال والانشـقـاق والهـجر والجـفـاء والجـدال نـاتج عن سوء الأخـلاق وانعـدام صـفـاء القـلب، فـالمراء والخصام والنزاع يشتت الشمل ويشق صـفـوف الأمة لذا قـال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

وهذا الأمر يدعونا إلى تجسيد مبدأ الأخوة بين المسلمين وهذا من المعاني العظيمة التي أكد عليها وقـررهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم في حـجـة الوداع، فـبـتقوى الله عـز وجل والحرص على نـيل رفـيـع الرتب وعـالي الدرجات يتـحـقق هذا المبـدأ لا بالفـخـر بالأنسـاب والأحسـاب لأنها عوامل قبيحه فبالتزامنا لهذا المبـدأ تنبذ الجـدال، وتلم الشمل ونوحد الصفوف، وقد روى الإمام أحمـد بن حنبـل عن أبي نضـرة قـال: حـدثني من سـمـع خطبـه رسول الله صلى اللـه عليه وسلم في وسط ايام التشـريق قال: (ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فـضل لعربي عـلى عجـمي ولا لعجمي علي عربي ولا لأحمر على أسـود ولا لأسـود على أحـمـر إلا بالتقوى).

واستمـر فضيلته في حـديثه قـائلاً: ومن آثار الحـج السلوكيـة البـارزة في صـفـوف الحـجـاج التـعـود على التـخلق بـبـعض الأخلاق الحسنة منها: الانضباط والتـقـيـد بالنظام حيث حدد الشارع مواقيت زمـانية ومكانية لا يجوز للحاج أن يتجاوزها، كما وضع أحكاماً وآداباً ومحظورات لمن لبى بالحج والعـمرة وأحـرم بهمـا حيث لا يجـوز أن ينتهكها لأنهـا حـرمات الله قـال تعـالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾، وقـال صلى الله عـليـه وسلم في المواقيت: (هن لهن ولمن مـر بهن من غـيـر أهلهن ممن أراد الحج أو العـمـرة) وقال في الـتـعليـمـات العـامـة: (خـذوا عني مناسككم لعلي لا ألقـاكم بعـد عـامي هذا)، وقـال: (حـجـو كـمـا رأيتـمـوني أحج).

وأضـاف قـائلاً: ومن الآثار كـذلك عـدم الفـوضى: وقـد حث صلى الله عليـه وسلم الحـجـاج على الـتـقـيـد بالنظام وعـدم الفوضى والتخلق بخلق التواضع والرحمة، فقد قبل صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود بمحجنه كي لا يتـزاحم الناس عند الـتـقـبـيل، فالانضـباط في أداء مناسك الحج والتقيد بالنظام وعدم المزاحمة كل ذلك من الأخلاق الحسنة التي كـانت من الآثار الإيجـابيـة لدى الحجاج الواعين.

وخلص الباحث إلى الحديث عن حصاد رحلة الحج، حيث قال: كانت آثار شعيرة الحج في بادئ الأمر محصورة في دروس وعبر يتلقاها الحاج والمعتمر من بلاد الحرمـين والمشاعـر المقدسة وقد تعداها اليوم إلـى نطاق حضاري أوسع بكثـيـر قـمنذ أن أسست الدولة السعودية على أيدي حكام مـخلصين على أسس سليـمـة راسخة بتحكيم كتاب الله وسنته وحاولوا جاهدين على العودة بها إلى مـا كان عليـه سلفنا الصالح عقيدة وعبادة ومنـهجاً مهـتمين جـانب العـقـيـدة بالـتـوحـيـد الخـالص، وبعـد هـذا الـتـحـول الملـمـوس أنعم الـلـه عـلـى هذه الدولة الراشدة أمناً وأماناً ورخاء ونعماً كثيرة.

وانتـهى إلـى القـول: إن هذه الدولة المباركة في جميع مراحلها إلى هذا العهـد الميمون عهـد خادم الحرمين الشـريفين الملك عبـدالله بن عـبـدالعـزيـز -حـفظه الله- وضعت كافة إمكانـاتها في سبيل راحة ضـيـوف الـرحـمن حـتى يؤدون شـعـائر الحـج ومناسكه بكل سهولة ويسر مما كان له أثر كـبـيـر علق في أذهان الحـجـاج فتجدهم يرفـعون أكف الضـراعة إلى الله العـلي العـزيز ليجـزي حكام هذه البلاد وشعـبها على ما يقـدمـون للحـجاج من خـدمـات ولـيـحـفظ لهذه الدولة أمنهـا واستـقرارها، حتى يتـمكنوا على الاستمرار في حماية دولة الوحيد وحفظها من كيـد الكائدين وحسد الحاسدين.